المحاضرة الثانية: مناهج علم الاجتماع ومدارسه

1_ علم الاجتماع والمنهج العلمي.

تمهيد:

احتاج علم الاجتماع لكي يستقل وينفصل عن الفلسفة التي نشأ في أحضانها، إلى أن تتوفر فيه الشروط التي تسمح له بذلك، وأهمها المنهج فهو الطريق الذي يسلكه الباحث للوصل إلى تفسيرات علمية للظاهرة الاجتماعية المدروسة، فيزوده بالأدوات والتقنيات اللازمة لتحقيق ذلك، ونتناول فيما يلي المنهج التاريخي، والمنهج التجريبي، والمنهج المقارن، والمنهج الوصفي.

1.7 المنهج التاريخي.

العلاقة بين الماضي والحاضر مهمة إذا كنا بصدد انماط الحياة السائدة والنظم الاجتماعية، والمستوى الحضاري في كل حقبة من حقب التاريخ، ويعتبر عبد الرحمان بن خلدون اول من كشف عن اهمية المنهج التاريخي، وتخليصه من الشوائب التي لحقت به، كما أن العالم الفرنسي "سان سيمون" هو اول من أقام رابطة بين المنهج التاريخي والمنهج العلمي، فعادة ما يستخدم المنهج التاريخي اذا اراد الباحث ان يحك على الحاضر في ضوء ما حدث في الماضي، فهو يستخدم في دراسة بعض الظواهر الاجتماعية والنفسية، فيعود الباحث بنظرة الى العوامل الاقتصادية والاجتماعية وآثارها في حدوث هذه الظاهرة، فمثلا يدرس سلوك الأحداث في اسرهم قبل انحرافهم، وفي مجتمعهم المحلي، فالتاريخ في هذه الحالة عبارة عن تسجيل واقعي للحوادث وضيح لتاريخ الحالة سواء كان المبحوث فردا أو جماعة او نظاما[1].

القواعد المنهجية للمنهج التاريخي: يحدد علماء مناهج علم الاجتماع مجموعة من القواعد العامة التي يجب أن يهتم بها الباحثين عند استخدامهم لهذا المنهج ومنها:

_ تحليل الظاهرة موضوع الدراسة والوقوف على عناصرها.

_ التعرف على نشأة الظاهرة والرجوع الى اصولها الاولية.

---

1 عبد الهادي محمد والي، مرجع سابق، ص 79.

ـ دراسة نمو الظاهرة وتطورها ومعرفة مظاهر التطور خلال كل مرحلة.

ـ ضرورة دراسة ثقافة المجتمع عامة قبل اجراء البحث عن الظاهرة.

ـ دراسة العلاقات القائمة بين الظواهر ومعرفة الأثار التي نتجن عن عمليات التفاعل بين هذه العلاقات.

ـ يجب على الباحث الاجتماعي ان يوسع دائرة اهتمامه بتاريخ الشعوب ومقارنتها والعمل على الوصول الى قوانين عامة حولها.

علاوة على ذلك يجب ان تأخذ عناصر المقارنة صورا ثلاثة وهي:

ـ المقارنة بين نظم وظواهر في مجتمع واحد.

ـ المقارنة بين نظم سائدة في مجوعة من المجتمعات المتجانسة من حيث الدرجة النوع.

ـ المقارنة بين نظم سائدة في مجتمعات متمايزة وفير متشابهة، لا تنتمي الى بناء اجتماعي اخر[1].

ويعتمد المنهج التاريخي على بعض المصادر التي يستمد منها المعلومات التي تفي بحاجته وأهمها:

ـ المصادر الأولية: وهي تلك التي تمدنا بيانات قامت بتدوينها او تفريغها وتبويبها ثم نشرها نفس الجهة التي قامت بجمعها والاشراف على مراحل اعدادها، وهذه المصادر تتضمن الاثار التي تعبر عن حضارة سابقة، او احداث معينة وقعت في الماضي، ومن امثلتها البيانات الخاصة بالإحصاء، والتعدادات العامة التي تقوم بها اجهزة الدولة المتخصصة بإجرائها ونشرها...

ـ المصادر الثانوية: وهي تلك المصادر التي تشتق من المصادر الاولية، فكثيرا ما تعتمد الابحاث الاجتماعية على مصادر ثانوية، كالبحوث السابقة والرسائل العلمية، والصحف والمجلات والدوريات، ومن الطبيعي ان تكون المصادر الاولية أعم وأشمل وأدق من المصادر الثانوية، فكثرا ما تحدث أخطاء في النقل والتدوين والتحليل حينما تأخذ المصادر الثانوية عن الأولية.

---

1 عبد الله محمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص148.

ـ المصادر الميدانية: وتتمثل في البيانات والمعلومات التي يقوم بجمعها باحث معين أو فريق من الباحثين، ويتم جمع البيانات بهذا الاسلوب اذا لم تكن هناك بيانات مدونة عن الظاهرة، وهذا الاسلوب يمثل ضرورة في بعض الدراسات مثل دراسات الرأي العام والاتجاهات نحو موقف معين او تنظيم معين.

واذا كان المنهج التاريخي هو المنهج الذي يستخدم للوصول الى المبادئ والقوانين عن طريق البحث في احداث التاريخ الماضية وتحليل الحقائق المتصلة بالمشكلات الاجتماعية، والتي شكلت الماضي وحددت الظروف المحيطة بالمشكلة او الظاهرة، فإنه من الضروري أن يستعين بكل المصادر السابق الاشارة اليها في وقت واحد[1].

2.7 المنهج التجريبي.

يتضمن المنهج التجريبي كل خطوات المنهج العلمي (منهج الاستقراء) الذي يتمثل في عدة خطوات تبدأ بملاحظة الظواهر وجراء التجارب، وضع الفروض العلمية، واختبار مدى صحة الفروض، واخيرا الوصول الى القوانين العلمية، ويرجع الفضل في التنبيه الى هذا المنهج الى "اوجوست كونت" الا انه قد قصر استخدامه على الحالات الباثولوجية التي تصيب المجتمع، اما اليوم فقد اتسع استخدام هذا المنهج[2].

اتباع المنهج التجريبي ينطوي على بعض القواعد منها:

ـ محاولة تخليص المعرفة العلمية من الافكار اللاهوتية والمسلمات والعقائد الغيبية التي لا تخضع للملاحظة والتجربة.

ـ التغلب على المصاعب التي قد يوقعنا فيها الأسلوب الاستنباطي القياسي، فقد يبدأ بمقدمة خاطئة تؤدي الى نتيجة او عدة نتائج خاطئة.

ـ التزام الموضوعية في استخدام الملاحظة العلمية لجميع البيانات والوقائع المتعلقة بالظاهرة المدروسة، وهذه تحقق متى استطاع الباحث التخلص من عوامل التضليل والابهام التي تعوق التفكير الموضوعي[3].

ويرى علماء المناهج ان المنهج التجريبي والبحث التجريبي لا بد ان يتبع مجموعة من الخطوات هي:

---

1 عبد الهادي محمد والي، مرجع سابق، ص81.

2 أحمد رأفت عبد الجواد، مرجع سابق، ص42.

3 عبد الهادي محمد والي، مرجع سابق، ص85.

_ تحديد المشكلة وصياغة الفروض التي ترتبط بالمشكلة المراد دراستها.

_ تحديد المتغير المستقل.

_ تحديد المتغير التابع.

_ كيفية قياس المتغير التابع.

_ تحديد الشروط الضرورية للضبط والتحكم والوسائل المتبعة في اجراء التجربة.

ويطلق عادة على المتغير او العامل الذي تريد معرفة أثر المتغير المستقل عليه بالمتغير التابع أو المعتمد، كما يستخدم الباحثين كافة الوسائل لمعرفة أثر التجربة مثل الملاحظة المباشرة وغير المباشرة لمعرفة العلاقة السببية بين الظواهر أو المشكلات المراد دراستها[1].

3.7 المنهج المقارن.

يركز هذا المنهج من البحوث على مقارنة جوانب التشابه والاختلاف بين الظواهر الاجتماعية لغرض اكتشاف العوامل أو الظروف التي تصاحب حدوث ظاهرة اجتماعية أو ممارسة معينة، على أن تكون المقارنة في حقبة زمنية واحدة، أو تقوم بمقارنة ظاهرة واحدة في نفس المجتمع في فترة زمنية مختلفة لمعرفة تطورها وتغيرها، ولكي يحقق الباحث الاجتماعي أهدافه بتطبيق منهج الدراسات المقارنة عليه أن يقوم بتصنيف دقيق للثقافات الانسانية للمجتمعات المشمولة بالدراسة، ثم تنظيم مشاهداته عن الثقافات، وأخيرا تصنيف المادة التي انتهى من جمعها لغرض التسجيل والتحليل[2].

ويمكن القول أن المنهج بأن المنهج المقارن يطبق في علم الاجتماع بكافة فروعه ومجالات دراسته، ذلك أن أي بحث في علم الاجتماع لا يخلو من الحاجة الى عقد مقارنة ما، وقد استعان به أغلب علماء الاجتماع قديما وحديثا، ويمكن ذكر المجالات الرئيسية في علم الاجتماع التي يمكن ان تخضع للبحث المقارن فيما يلي:

_ دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين الانماط الرئيسية للسلوك الاجتماعي.

---

1 عبد الله محمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص151

2 طاهر حسو الزيباري، **أساليب البحث العلمي في علم الاجتماع**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2011، ص72.

_ دراسة نمو وتطور انماط الشخصية، والاتجاهات النفسية ولاجتماعية في مجتمعات وثقافات متعددة مثل بحوث الثقافة والشخصية ودراسات الطابع القومي.

_ دراسة النماذج المختلفة من التنظيمات، كالتنظيمات السياسية والصناعية.

_ دراسة النظم الاجتماعية في مجتمعات مختلفة، كدراسة معايير الزواج والاسرة والقرابة أو دراسة المعتقدات الدينية، وكذلك دراسة العمليات والتطورات التي تطرأ على النظم الاجتماعية مثل التحضر[1].

4.7 المنهج الوصفي.

يعد المنهج الوصفي من أكثر مناهج البحث الاجتماعي ملاءمة للواقع الاجتماعي وخصائصه، وهو الخطورة الأولى نحو تحقيق الفهم الصحيح لهذا الواقع، إذ من خلاله نتمكن من الاحاطة بكل أبعاد هذا الواقع محددة على خريطة تصف وتصور بكل دقة كافة ظواهره وسماته، وقد واكب المنهج الوصفي نشأة علم الاجتماع، وارتبطت نشأته بحركة المسح الاجتماعي في إنجلترا، ونشأة الدراسات الأنثروبولوجية، والفكرة الأساسية التي يقوم عليها المنهج الوصفي هي أن المشكلة التي واجهت الدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية هي عدم وجود منهج علمي حقيقي يصلح لتحليل هذه الظواهر، فلم تكن الملاحظة خاضعة لقواعد تنظمها بحيث نعرف بدقة كيفية الملاحظة، وأهمية الظواهر التي تلاحظ وأكثرها دلالة[2]، ولذلك فإن المنهج الوصفي يعتمد على خطوات هي:

_ اختيار الوحدة الاجتماعية الأولية والاساس في الموضوع المدروس.

_ اكتشاف الطريقة الملائمة للقياس الكمي لمختلف عناصر مكونات وحدة الدراسة.

_ فحص العوامل المختلفة المؤثرة في تنظيم الظاهرة المدروسة في وظائفها، وعلى هذا فإن البحوث الوصفية تتم على مرحلتين، مرحلة الاستكشاف والصياغة، ومرحلة التشخيص والوصف المتعمق، وهما مرحلتان مرتبطتان ببعضهما، ويعد المسح الاجتماعي ودراسة الحالة، والبحوث السكانية التي تصف المواليد والوفيات وتحركات السكان وتوزيعهم، بحوث وصفية تمثل المنهج الوصفي، ويوفر المنهج الوصفي كثيرا من البيانات والمعلومات التي تزيد المعرفة بالظواهر، وتنمي البصيرة بالواقع الاجتماعي[3].

---

1 اسماعيل محمد الزيود، مرجع سابق، ص203.

2 أحمد طاهر مسعود، مرجع سابق، ص 20.

3 اسماعيل محمد الزيود، مرجع سابق، ص 202

خلاصة:

تعددت مناهج البحث في علم الاجتماع تبعا لتنوع المواضيع والقضايا والمشكلات والظواهر الاجتماعية التي تدخل في مجال اهتمامات الباحثين والمختصين في هذا العلم، وتكمن أهمية المنهج باعتباره الطريق الذي يوجه الباحث للوصول إلى حقائق علمية حول الظواهر المدروسة، فاختلاف طبيعة البحوث الاجتماعية يتبعه اختلاف طرق وأدوات جمع البيانات التي يستخدمها الباحثون عند إجرائهم البحوث الميدانية والنظرية.

2_ مدراس علم الاجتماع.

_ المدخل الخلدوني (الإسلامي).

يعد ابن خلدون" أول من نادى بضرورة إنشاء علم العمران البشري، وهذا العمران يعني لديه الاجتماع الإنساني وظاهرته، وهو يصوغ موضوع هذا العلم من خلال قوله أن الاجتماع الإنساني ضروري، وأولى النقاط التي تبرز في فكره هي النظر للمجتمع نظرة شمولية مع التركيز على ضرورته، وما هو ضروي فيه، فهو لم يدرس الاجتماع الإنساني إلا بقصد بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال واحدة بعد أخرى، وهذا يعني أن التركيب الجدلي المعقد من الأحوال في العمران هو المجال المتميز الذي يسعى ابن خلدون لكشفه وتهيئة المستلزمات المعرفية له[1].

ويعد ابن خلدون من أوائل المفكرين الاجتماعيين الصراعيين، إذ تناول الصراع بين البداوة والحضارة تناولا تاريخيا علميا في كتابه الموسوم "العبر وديوان المبتدأ والخبر وتاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" والذي يقع في إثنا عشر مجلدا أولهما كتاب "المقدمة" وآخرها كتاب "السيرة" أي تاريخ حياة ابن خلدون الذي فضل كتابته بنفسه لكي لا يزور أو يفترى عليه، إن نظرية ابن خلدون الصراعية انما تكمن في نظريته الدائرية، فلقد أشار ابن خلدون الى ان الحياة التي نعيشها ما هي الا صراع مزمن بين البداوة والحضارة، أي بين سكان البدو وسكان الحضر، فالصراع هذا غالبا ما يقود الى سقوط الملك أو الخلافة او المجتمع اذ يسيطر البدو على الملك بعد ان يستقروا في المنطقة الحضرية، كما يحاول الحضر السيطرة على الريف والتوغل في البادية واخضاع البدو لسلطانهم، الا ان البدو غالبا ما يتوطنوا في المناطق الحضرية ويستقروا هناك اذ يفتقدوا عصبيتهم القبلية

1 عبد الباسط عبد المعطي، **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع**، دار المعرفة، دب، 1980، ص55

ويتعودوا على حياة المدينة المترفة والوديعة الى ان يضعفوا فيقدم عليهم سكان البادية ويسقط حكمهم، وهكذا يعيد التاريخ نفسه، ويصبح الملك مصدرا للغزو البدوي الذي يتكرر ويعيد نفسه بين وهلة وأخرى[1].

إذن يعد تغير العمران حقيقة أساسية في نظرة ابن خلدون إلى العمران البشري، فأحوال العالم والأمم وعوائدها ونحلها لا تدوم على وتيرة واحدة إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، ويرى أن السبب الشائع في تبدل الأحوال والعوائد هو أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه، كما يركز في فهمه وتفسيره لتطور العمران وتغيره على عدة عوامل أساسية ترتبط بالعصبية التي لا تلعب دورا أساسيا في بناء العمران واستمراره، وفي هذا يقرر أن الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج للمتكون، والمزاج في المتكون لا يصلح إذا تكافأت العناصر فلا بد من غلب أحدها وإلا لم يتم التكوين، فكأن الصراع القائم على التناقض أساس في تكوين العمران البشري واستمراريته، كما تلعب السلطة السياسية المتمثلة في الحاكم دورا في الحفاظ على العمران وفي تغييره[2].

ويذهب ابن خلدون إلى أن الصراع بين الفئتين الاجتماعيتين البدو والحضر يرجع الى رغبة سكان البدو بالسيطرة على الحضر، كما يرجع الى قوة العصبية القبلية عند البدو وضعفها عند الحضر، وبسبب ذلك فإن البدو ينتصرون على الحضر في اكتساب الاراضي البدوية والاستحواذ عليها، أما سبب الصراع بين البداوة والحضارة فيرجع الى رغبة سكان البدو بالاستئثار بالقوة والحكم، وعدم رغبة سكان الحضر بذلك، كما أن البدو يتسمون بقساوة العيش وصعوبة ظروف الحياة، بينما سكان الحضر يتميزون بالرقة والوداعة والنعومة، لذا ينتصر البدو على الحضر ويقيمون خلافة أو دولة على أنقاضها، والصراع المحتدم بين الحضارة والبداوة يؤدي إلى سقوط الحضارة ويبرز البداوة كقوة مسيطرة، وعند انتهاء الصراع بسقوط الحضارة وشموخ البداوة كقوة حاكمة يتغير المجتمع من بدوي الى حضري بعد هجرة السكان من البادية الى الحضر بأعداد كبيرة جدا، علما بأن السمات الحضارية للحضارة تختلف عن السمات الحضارية للبداوة[3].

ولقد أكد ابن خلدون على أهمية وصول علم العمران إلى صوغ القوانين التي تحكم العمران لأن الوصول إلى هذه القوانين وظيفة من وظائف العلم، وفي هذا المعنى يرى أن الظواهر العمرانية لا تشذ عن بقية ظواهر الكون، وأنها محكومة في مختلف نواحيها بقوانين طبيعية تشبه القوانين التي تحكم ما عداها من ظواهر الكون، كما رأى أن المجتمع ليس ثابت الأحوال وإنما هو دينامي ومتغير، ويلعب الصراع بين العصبيات دورا بارزا في تغييره وتنميته،

---

1 احسان محمد الحسن، **النظريات الاجتماعية المتقدمة**، ط3، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص127

2 عبد الباسط عبد المعطي، مرجع سابق، ص56.

3 احسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص128.

وحدد التوجه المنهجي لهذا العلم بالملاحظة والتحليل والتفسير في إطار تاريخي، حتى يمكن الوصول إلى القوانين التي تحكم هذا المجتمع[1].

_ المدخل الوضعي(وما تفرغ عنه)، (النظرية الوظيفية، النظرية البنيوية، نظرية الفعل)

_ النظرية الوظيفية:

تعود الوظيفية في جذورها إلى أعمال كل من "هربرت سبنسر H.Spencer، و"إميل دوركايم E.Durkheim"، فبالابتعاد على التصور التطوري والعضوي، درس لأول مرة "سبنسر" وظيفية منطلق بيولوجي، واعتبر المجتمع أشبه بكائن حي حيث أن الأجزاء التي تكونه تشارك في حفظ الوظيفة العامة لهذا الكائن، أما "دوركايم" الذي تأثر بأفكار "سبنسر" والذي انتقده بشكل كبير فيذهب بعيدا في تحليله منطلقا من مفهوم "الوظيفة"، فله الفضل في نسج خيوط الاتجاه الوظيفي من فلسفته الوضعية، وأشار راد كلف براون بأن دوركايم هو أول من أقام المماثلة بين المجتمع والحياة العضوية على أساس وظيفي، معتبرا أن الحياة الاجتماعية تعبير وظيفي عن البناء الاجتماعي[2]، حيث استطاع أن يضع المبادئ الأولى للوظيفة في كتابه "في تقسيم العمل الاجتماعي" لذا اعتبره مالينوفسكي الأب الأول للوظيفية، فقد بين كيف أن لتقسيم العمل وظيفة أساسية تتمثل في ضمان التماسك بين الأفراد فيما بينهم، متجاوزا النظرة الاقتصادية التي تعتقد أن تقسيم العمل يزيد في الانتاج فقد (الاستجابة لحاجة وظيفية فقط)، فدوره عند دوركايم تثمين التضامن الاجتماعي الذي هو عامل أساسي في ربط العلاقات الاجتماعية، وبالتالي ضمان وظيفة السير الحسن للمجتمع في عمومه، فهو يقرب بين مفهوم الوظيفة بالمعنى البيولوجي من مفهوم الحاجة كما فعل المؤسسون الأوائل للوظيفية لذا اعتبروه الرائد الأول لهم[3].

لقد تشابهت نظرية "سبنسر" في التحول الاجتماعي مع نظرية "دوركايم" حول تقسيم العمل في المجتمع، وهي النظرية التي كان لها تأثير كبير في الوظيفين المعاصرين، ومع ذلك هناك اختلافين هامين الأول أن دوركايم لم يشدد على التمايز الاجتماعي كضرورة ملازمة لجوهر عملية التحول، كما فعل سبنسر، والاختلاف الثاني إصرار دوركايم على الحقائق الاجتماعية كموضوع أساس ملائم لعلم الاجتماع يتعارض بصورة مباشرة مع الموقف الاختزالي عند

---

1 عبد الباسط عبد المعطي، مرجع سابق، ص57.

2 فراس عباس البياتي، **علم الاجتماع دراسة تحليلية للنشأة والتطور**، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص60.

3 خواجة عبد العزيز، **أساسيات في علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص208.

"سبنسر" الذي يؤكد فيه أن سبب التقدم سيكولوجي، ويتمثل في حاجة الأفراد إلى سعادة أكبر، ومن أجل ذلك اتبع الوظيفيون دوركايم، إلا أن "بارسونز" استخدم فكرة سبنسر حول التمايز في نظريته حول التغير الاجتماعي[1].

ويعتبر "تالكوت بارسونز" مؤسس الوظيفية الحديثة، بحيث لم يستخدم "دوركايم" و"فيبر" مصطلح الوظيفية لوصف توجهاتهما، وتحاول نظرية الأنساق الاجتماعية عند بارسونز التوليف بين المنظور البنائي الاجتماعي عند دوركايم ومنظور الفعل الاجتماعي عند فيبر مع آراء علماء آخرين أبرزهم فرويد، ويرى بارسونز أن الناس يكتسبون القيم والمعايير والأدوار الأساسية من خلال التنشئة الاجتماعية، وأن النجاح في استدماج قيم المجتمع ومعاييره وأدواره شرط لازم للنظام الاجتماعي، وأن الإخفاق في اكتسابها أو قبولها علامة على الانحراف[2].

_ النظرية البنيوية:

تأسست النظرية البنيوية في نهاية القرن التاسع عشر واستمرت بالنمو والتطور حتى منصف القرن العشرين، وكان تأسيسها يستند الى ظهر مفكرين اجتماعيين معروفين أمثال "اوجست كونت" و "كلودن ويزر" و "كلود ليفي ستراوس"، علما بأن رواد النظرية البنيوية جميعهم يركزون على موضوع البنى والأنساق الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي، كالبناء الديني والبناء الأسري، البناء السياسي، والبناء العسكري، والبناء التربوي...الخ، وان هذه الأبنية مختلفة في أشكالها ومضامينها، ولكنها متكاملة ومتضامنة بعضها مع بعض، اذ كل بناء اجتماعي يسند ويعضد البناء او البنى الاجتماعية الاخرى، وهذا ما يؤدي الى ظهور ما يسمى بالتكامل الاجتماعي[3].

ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء المنظرين الاجتماعيين لا يعالجون أجزاء البناء وعلاقتها بالبنى الاخرى فحسب بل يدرسون ايضا تحليل البناء او النسق الواحد الى عناصره الاولية، ويتناولون بالبحث والدراسة الترابط بين أجزاء او أركان النسق مع اشتقاق قوانين تتعلق بطبيعة تغير الأنساق من شكل الى شكل آخر، والتركيز على الأسباب الموضوعية والذاتية المؤدية للتحول أو التغير الذي يعتري الأنساق والأجزاء التي يتكون منها المجتمع، ولعل من اهم الاعمال العلمية التي تناولت بالدراسة والتحليل كل ما يتعلق بالنظرية البنيوية كتاب "الفلسفة الوضعية" لأجوست كونت، الذي يقع في مجلدين، والكتاب يتناول كل ما يتعلق بعلم الاجتماع الوضعي والوضعية، فعلم الاجتماع

---

1 رث والاس وألسون وولف، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، ترجمة: محمد عبد الكريم الحوراني، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص 55.

2 مصطفى خلف الجواد، **نظرية علم الاجتماع المعاصر**، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص165.

3 احسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص33.

الوضعي هو الموضوع الذي يتخصص بدراسة الظواهر الكلية لعقل الانسان والافعال الانسانية الناتجة عن هذا العقل، ويضيف "كونت" أن علم الاجتماع الوضعي لا يدرس العقل في حد ذاته، لكنه يهتم بالنتائج المتراكمة والمتجمعة عن استعمال العقل وممارسته، فعلم الاجتماع الوضعي يدرس اذا ظواهر المجتمع دراسة كلية وضعية، أي دراسة أجزاء المجتمع دراسة علمية موضوعية تعتمد على العقل والمنطق والخبر والتجارب السابقة، وتعتمد على الملاحظة والمقارنة والتتبع التاريخي للأحداث حسب تسلسل وقوعها[1].

ويتناول كتاب الفلسفة الوضعية موضوع السكون والستاتيك الاجتماعي والذي يقصد به "كونت" دراسة المجتمعات الانسانية دراسة تغور في تفصيلاتها وجزئياتها وعناصرها ونظمها في حالة استقرارها، بقصد الوقوف على القوانين التي تحكم تماسكها وتعمل على تضامنها، وحدد "كونت" في الكتاب عناصر المجتمع من خلال تحليله السكوني أو الاستاتيكي الى ثلاثة عناصر هي الفرد والعائلة والدولة، ذلك أن الفرد في ذاته لا يعتبر عنصر اجتماعيا الا اذا تفاعل مع الاخرين وتضامن معهم بشكل جماعات ومنظمات متماسكة، كما أن الجماعة أو المنظمة الاجتماعية لا تظهر ولا تكون فاعلة وقوية ال بوجود الافراد وانتمائهم الى الجماعة، لذا ينتهي "كونت" من التحليل الى أن الفردية الخالصة لا تمثل شيئا في الحياة الاجتماعية الا بعد امتزاج وتفاعل العقول بعضها مع بعض، علما بأن تفاعل العقول لا يتحقق في الوسط الفردي وإنما يتحقق في الوسط الجمعي، ولعل الاسرة هي الوسط الذي يتحقق فيه كل هذه الامور وكذلك الجماعات الاجتماعية الأخرى[2].

ويستخدم الاتجاه البنيوي على نطاق أوسع في الأنثروبولوجيا عنها في علم الاجتماع خاصة في الولايات المتحدة الامريكية، واقتداء بـــ "ليفي ستراوس" الذي أشاع مصطلح البنيوية استخدم التحليل البنيوي في دراسة القرابة والأساطير والدين غيرها من المجالات، ومع ذلك فقد تأثر عديد من الكتاب في نظرية علم الاجتماع من البنيوية، وعلى الرغم من أن "ميشيل فوكو" لا يحب أن يطلق عليه بنيوي فقد استخدم أفكار أساسية عديدة من التفكير البنيوي، وتطبق المفاهيم البنيوية على دراسة وسائل الاعلام والايديولوجيا والثقافة بصفة عامة[3].

تعتمد النظرية البنيوية على عدد من المبادئ الاساسية العامة التي يمكن تحديدها بالنقاط الأتية:

_ لكل مجتمع انساني بناء اجتماعي متكامل.

---

1 احسان محمد الحسن، مرجع سابق ، ص34.

2 نفس المرجع، 34 .

3 مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سابق، ص482.

_ البناء الاجتماعي هذا يتكون من نظم اجتماعية فرعية أو مؤسسات اجتماعية ذات أغراض محددة كالمؤسسات الدينية والمؤسسات الاقتصادية والمؤسسات...

_ تكون هذه النظم الاجتماعية الفرعية مترابطة ومتساندة بعضها مع بعض.

_ اذا حدث تغيير في أي هذه النظم والمؤسسات فإن هذا التغيير لا بد أن يؤثر على بقية النظم أو المؤسسات اذ يغيرها من طور الى طور آخر.

_ البناء الاجتماعي يمكن تحليله الى عناصره الأولية، وعناصر البناء الاجتماعي هي المؤسسات الاجتماعية والادوار البنيوية، والحقوق والواجبات الاجتماعية.

_ للبناء الاجتماعي نسقين: النسق العمودي والنسق الأفقي، فهدف النسق العمودي هو السيطرة والضبط، بينما هدف النسق الأفقي هو تحديد مكان أو موقع المسؤولية ومراعاة الاختصاص وتقسيم العمل وأخيرا زيادة حجم المؤسسة وتوسعها.

_ تعتقد النظرية البنيوية بنظام قيمي يحدد واجبات الادوار وحقوقها ويرسم قنوات الاتصال بين الادوار البنيوية، ويوضح الممارسات التي يقبلها النظام ويقرها، والممارسات التي ينتهجها النظام ويرفضها.

_ تحدد النظرية البنيوية العلاقة المتفاعلة بين الدور الاجتماعي والشخصية من جهة، وبين الدور الاجتماعي والبناء الاجتماعي من جهة ثانية، لأن الدور هو حلقة الوصل بين الشخصية والبناء أو بين الفرد والمجتمع.

_ تحدد النظرية البنيوية قوى أو عوامل الثبات وقوى أو عوامل التغير الاجتماعي، فمن قوى الثبات أو السكون الاجتماعي أساليب التنشئة الاجتماعية، ووسائل الضبط الاجتماعي وبخاصة الدين والقانون، ومن عوامل التغير الاجتماعي الحرب والثورة والتصنيع والتحضر والتنمية وتغير النظام السياسي لسبب او لآخر.

_ تحدد النظرية البنيوية العديد من الظواهر الي ترسم أطر البناء الاجتماعي كالطبقية والبناء الطبقي والسكان والبناء السكاني والعنصر والبناء العنصري والاثني، والمهن والبناء المهني ...الخ [1].

1 احسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص39

_ نظرية الفعل:

تضمن كتاب "الاقتصاد والمجتمع" عام 1922م لـ" ماكس فيبر كثيرا من مفاهيمه وأطروحاته حول ماهية علم الاجتماع، حيث يرى أنه العلم الذي يحاول أن يجد فهما تفسيريا للفعل الاجتماعي من أجل الوصول إلى تفسير علمي لمعنى هذا الفعل وآثاره، حيث إن الفعل الاجتماعي هو سلوك إنساني يضفي عليه الفاعل معنى ذاتيا سواء كان هذا المعنى واضحا أو كامنا، وقد أعطى "فيبر" الفعل الاجتماعي معنى واسع كل السعة بوصفه الموضوع الرئيسي للبحث الاجتماعي من وجهة نظره[1].

والفعل الاجتماعي حسب "ماكس فيبر" والذي يجب أن يكون موضوع دراسة علم الاجتماع هو أي سلوك إنساني يضفي عليه الفاعل معنى ذاتيا، والفاعل حين يقوم بهذا الفعل الاجتماعي فإنه يضع سلوك الأخرين دائما في اعتباره، ويكون فعله بالتالي موجها نحو الأخرين، وقد اعتبر أن وحدة التحليل الاساسية للمجتمع هي "الشخص الفاعل"[2].

قسم "فيبر" الفعل الاجتماعي إلى أربعة أنماط:

_ الفعل الرشيد علميا، أي الفعل الذي يختار فيه الفاعلون غاياتهم ووسائل تحقيقها بطريقة محسوبة.

_ الفعل الرشيد قيميا، وهو الفعل الذي يتحدد بالاعتقاد الواعي في قيمة بعض الصور الأخلاقية والجمالية والدينية للسلوك في حد ذاتها بغض النظر عن احتمالات النجاح في ذلك.

_ الفعل العاطفي، وهو الفعل الذي يتحدد بالحالة العاطفية أو الوجدانية للفاعلين.

_ الفعل التقليدي، وهو الفعل الذي يتحدد بما اعتاد عليه الفاعلون في سلوكهم.

وباختصار صنف "فيبر" الفعل كما يحدده العقل، والقيم، والعاطفة، والتقاليد، أو بمزيج من بعضهم، وقد قصد "فيبر" من تنميطه للفعل أن يشمل ما يتراوح بين الرشيد وغير الرشيد[3].

---

1 عبد العزيز بن علي الغريب، مرجع سابق، ص305.

2 سمير نعيم أحمد، **النظرية في علم الاجتماع**، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، 2006، ص119.

3 مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سابق، ص180.

كما يعتبر "تالكوت باسونز" من رواد نظرية الفعل، حيث يمثل عنده الوحدة الأساسية للحياة الاجتماعية، ولأشكال التفاعل الاجتماعي بين الناس، فما من صلة تقوم بين الأفراد والجماعات إلا وهي مبنية على الفعل الاجتماعي، وما التفاعل الاجتماعي إلا أشكال للفعل التي تتباين في اتجاهاتها وأنواعها ومساراتها، ولهذا يعد الفعل عنده الوحدة التي يستطيع الباحث من خلالها رصد الظواهر الاجتماعية، وتفسير المشكلات التي يعاني منها الأفراد، وتعاني منها المؤسسات على اختلاف مستويات تطورها[1].

وكان "بارسونز" تواقا إلى تمييز نظرية الفعل عن النزعة السلوكية، فهو استخدم مصطلح "الفعل" لأن له دلالة تختلف عن دلالة مصطلح "السلوك"، فالسلوك يعني الاستجابة الآلية للمثير، في حين يدل الفعل على عملية ذهنية إبداعية مفعمة بالنشاط، وكان "بارسونز" حريصا على تمييز نظرية الفعل عن النزعة السلوكية، ويعبر عن ذلك بقوله: إن النظرية–مثل النظرية السلوكية– التي تصر على البحث في الكائنات الإنسانية بطريقة تستبعد جوانبهم الذاتية ليست نظرية في الفعل[2].

ويمثل الفاعل، الذي يمكن أن يكون شخصا واحدا أو مجموعة، نقطة البدء في نظرية الفعل عند بارسونز، وفي مثال قدمه لشرح نظريته، حيث يمثل الفاعل "آن دو Ann doe" وفيه يرى "بارسونز أن الفاعل مدفوع لبذل الطاقة من أجل الوصول إلى هدف أو غاية مرغوبة معرفة من قبل النسق الثقافي، وهذه الغاية بالنسبة لــ"آن دو" هي درجة البكالوريوس، وهذا الفعل يجري في موقف معين، ويتضمن الموقف وسائل (تسهيلات، أدوات أو مصادر)، وكذلك ظروف (المعوقات التي تبرز أثناء السعي إلى تحقيق الهدف)، "آن دو" على سبيل المثال، تمتلك المقدرة العقلية، والمال اللازم كرسوم للتعليم، ولكنها ملتزمة في عملها الذي يتطلب منها العمل طوال ساعات الدوام المعتادة، ولذلك من الضروري في موقفها هذا، إما ان تأخذ المواد المطروحة بعد ساعات العمل، أو أن تأخذ مغادرة من عملها خلال ساعات الدوام، أو أن تستبدل عملها الراهن بعمل آخر يوفر لها الوقت الكافي لتتابع تعليمها، إن الوسائل والظروف المتضمنة في الموقف يمكن أن تجعل الموقف محفوفا بالمخاطر، والمهم في نظرية الفعل عند "باسونز" أن جميع العناصر المبينة أعلاه تنتظم بموجب المستويات المعيارية للنسق الاجتماعي، وفي حالة "آن دو" فإنه الواجب عليها أن تجتاز كل المواد المطلوبة في درجة البكالوريوس، فالفاعلين لا يمكنهم تجاهل قواعد اللعبة، فالقواعد تعرف لهم غاياتهم وماذا ينبغي عليهم أن يتصرفوا، ويجب أن تنجز التوقعات المعيارية من قبل أي فاعل مدفوع لمتابعة هدف ما، ولأن المعايير مستدمجة من قبل الفاعل، فإنه مدفوع ليتصرف بصورة ملائمة،

---

1 عبد العزيز بن علي الغريب، مرجع سابق، ص172.

2 مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سابق، ص370.

فالمعايير تمثل الجوهر في نظرية الفعل عند "بارسونز"، وهو الأمر الذي جعل "بارسونز" يعتبر النسق الثقافي الذي يضفي عليه شرعية، نسقا مركزيا[1].

إن هذا الجزء من عمل "بارسونز" يرتكز على أعمال التنميط (التنميط هو تحليل يرتكز على الأنماط) التي قام بها "فيردناند تونيز" (1855-1936) للمجتمعات حيث قسمها إلى نمطين: مجتمع محلي بسيط ومجتمع حديث، لقد كان "تونيز" معنيا بمقارنة المجتمعات البسيطة بالمجتمعات الصناعية الحديثة، فالمجتمع المحلي يتصف بسيادة العلاقات الشخصية، وعلاقات العمل التعاقدية، ولقد سار "دوركايم" على خطى "تونيز" في تحليله لأنماط التضامن في المجتمع البسيط والمجتمع الحديث، ولقد وصف "بارسونز" العلاقات في المجتمعات التقليدية والتي تتصف بالثبات والشخصانية، بأنها تعبيرية، بينما وصف العلاقات في المجتمع الحديث والتي تتصف باللا شخصانية أو تأخذ شكل علاقات عمل، بأنها أداتية، كذلك فإن كلا النوعين من العلاقات له حضور في المجتمع الحديث، والمجتمع بحاجة إليه، وقد استخدم "بارسونز" حاجة المجتمع للعلاقات الاجتماعية بنوعيها التعبيري والأداتي في تحليل تمايز الدور الجندري داخل الأسرة، فدور القيادة الأداتية يجب أن ينسب للزوج- الأب، الذي يوفر للعائلة مكانتها ودخلها، ولأن كون الأب يتولى مسؤوليات العمال (خارج المنزل)، فعلى الأم أن تتولى دور القيادة التعبيرية المتمثل في تنشئة الأبناء[2].

_ المدخل الماركسي (وما تفرغ عنه)، (النظرية الماركسية، النظرية الماركسية المحدثة).

_ النظرية الماركسية.

ارتبط مسمى هذه النظرية بمؤسسها الأول "كارل ماركس. K.Marx" الذي وضع افكارها العامة خلال أواخر القرن التاسع عشر، واتخذت هذه النظرية مسميات اخرى مثل نظرية الصراع، وذلك من خلال تصورها المحدد نحو الطبقات الاجتماعية، كما أن هناك كثير من المفاهيم والمسميات الاخرى التي ارتبطت بهذه النظرية مثل المادية التاريخية، او النظرية الراديكالية، وان هذا المصطلح قد اطلق بعد لك على الكثير من الاتجاهات التي أخذت الطابع النقدي عند دراستها للمجتمع[3].

---

1 رث والاس وألسون وولف، مرجع سابق، ص69.

2 رث والاس وألسون وولف، مرجع سابق ، ص72.

3 عبد الله محمد عبد الرحمان، مرجع سابق، ص124.

فالنظرية الماركسية وليدة التنظير الراديكالي لعصر التنوير، وهو العصر الذي أكد على الكمال الانساني، وعلى امكانية أن يقود الانسان بفله التقدم، اضافة الى التأكيد على افكار العدل والمساواة والاخاء الانساني، بحيث يمكن القول بان عصر التنوير وتنظيره اثر على تفكير كارل ماركس من خلال ثلاث جوانب او مقدمات اساسية، الاولى الطاب الفلسفي الشامل لا فكاره، اضافة الى الروح الانسانية ذات الطاب الصوفي للأفكار، الى جانب التحليلات الاقتصادية الصارمة والدقيقة، واذا كان تفكير التنوير في غالبه له طابع ايجابي، فإننا نجد أن كارل ماركس لم ينقل تنظير التنوير، ولكنه طبق منطق الجدل في الحوار او التفاعل مه، حيث شكل بفكره نقيضا لهذا الفكر، يتضح ذلك من خلال تبني موقفا شكليا ديكارتيا في مواجهة جملة من المقولات التحليلية التي سيطرت في عصره وشكلت تراكما له قوته، الاقتصادي منها والاخلاقي على السواء، لأن غالبية القضايا التي انتقدها ماركس في عصر التنوير أو شك فيها نقديا كانت مقولات تعبر عن تفاعلات مهدت لقيام النظام الرأسمالي، او هي لعبت دورا في تبرير وجوده[1].

يبدأ تحليل "ماركس" لبناء المجتمع بمسالة البقاء الانساني: الحاجة الى انتاج السلع، والاقتصاد هو ذلك المجال من مجالات المجتمع الذي يختص بإنتاج السلع، وقد أشار " ماركس" الى قوى الانتاج، والعلاقات الاجتماعية للإنتاج، ونمط الانتاج، وتتضمن قوى الانتاج وسائل الانتاج والتي تعني الوسائل الملموسة للإنتاج مثل الارض في المجتمعات الاقطاعية، والمصانع في المجتمعات الصناعية الرأسمالية، وتشير العلاقات الاجتماعية للإنتاج إلى الطريقة والتي بها يتم تنظيم الإنتاج اجتماعيا، وفي جميع المجتمعات غير الشيوعية توجد طبقة تملك وسائل الانتاج، وطبقة تقوم بتشغيل هذه الوسائل، وفي المجتمع الرأسمالي في القرن التاسع عشر الذي عاش فيه "ماركس" وصف الطبقة التي تملك وسائل الانتاج بالطبقة الرأسمالية أو البرجوازية، والطبقة التي تبيع عملها بالطبقة العاملة أو البروليتارية، أما نمط الانتاج فهو وصف أكثر عمومية لنوع الإنتاج السائد في المجتمع مثل أنماط الإنتاج الاقطاعي أو الرأسمالي أو الاشتراكي، ويشار الى الاقتصاد والطبقات معا كوحدة متكاملة بالبناء التحتي للمجتمع، وما عدا ذلك يطلق عليه البناء الفوقي الذي يضم السياسة والثقافة والأيديولوجية[2].

ومن المهم الإشارة الى ماركس لم يقل بأن الأفكار وحدها هي التي يمكن أن تغير المجتمع تغيرا جذريا، فقد ذهب الى أن الشرط الاساسي للتغير في المجتمع يتحقق عندما يتطور التناقض او التناقضات الاساسية الى درجة تهدد النظام الاجتماعي القائم بالانهيار، وأبرز تناقض أساسي يمكن أن ينميه المجتمع هو عندما يحدث عداء بن

---

1 على ليلة، **النظرية الاجتماعية الحديثة "الأنساق الكلاسيكية"**، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 2014، ص17.

2 مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سابق، ص172.

نمط الانتاج وعلاقاته الاجتماعية، وقصد ماركس بذلك ان توازن القوة الاقتصادية يمكن أن ينتقل الى جماعة جديدة دون المساس بالنظام الاجتماعي القديم، ومن ثم يرى ان الرأسماليين يصبحون في النهاية عاجزين عن التحكم في نظام الانتاج الرأسمالي، لانهم يعجزون عن الحفاظ على سيطرتهم على الطبقة العاملة مثلما فقد النبلاء الاقطاعيون قدرتهم السيطرة على البرجوازية الصاعدة[1].

كما وصف ماركس مجموعة من التناقضات الكامنة ضمن هذا التناقض الرئيسي: انخفاض معدل الربحية للرأسماليين، وزيادة التنافس بين الرأسماليين، وتزايد استغلال (افقار) الطبقة العاملة بما يؤدي الى رد فعل ثوري، ويشير مصطلح "المادية الجدلية" في نظرية ماركس القائلة بأن التغير التاريخي يحدث من خلال توليفة من المتناقضات داخل النسق، وهي مادية لأنه يرى أن القوى الاقتصادية هي المحرك للتغير التاريخي، وهي جدلية لأن التناقضات تنتج عن العلاقات العدائية الاقتصادية والاجتماعية بين الطبقات[2].

وهكذا نرى أنه في مقابل انحياز "كونت" و"دوركايم" و"فيبر" للطبقة العليا (البورجوازية) وتسخيرهم نظرياتهم لتبرير النظام الرأسمالي والدفاع عن البورجوازية انحاز "كارل ماركس" للطبقة العاملة وسخر نفسه ونظريته للدفاع عن هذه الطبقة، ونقد ومهاجمة النظام الرأسمالي من أجل الإطاحة به وإحلال النظام الاشتراكي محله[3].

_ النظرية الماركسية المحدثة:

كز الماركسيون الجدد على الامبريالية العالمية ودورها في أساليبها في التعامل مع ضحاياها، كيف تقيدهم؟ وكيف تهزمهم؟ ومن المحاولات التجديدية ما اقترحه "لوسيان جولدمان" بإشارته الى أنه يجب أن نستبدل مصطلح الرأسمالية عند ماركس بمصطلح الإمبريالية عند "لينين" و "روزا لوكسمبورج" كما أن مفهومهما هذا يجب تعديله لكي يعكس الطبيعة المنتظمة للنظام الرأسمالي العالمي المعاصر، كما وضحوا أساليب الاستعمار الجديد في التعامل مع دول العالم الثالث وسعيه في الحفاظ على كبار الموظفين ورشوة البرجوازيات الوطنية والتأثير الأيديولوجي أي المثقفين والتغلغل في المؤسسات العلمية والثقافية والاعلامية.

_ اهتموا بالخصوصيات القومية ودور الأمة في التحرر الشامل بوصفها تجسيدات لعمل القوانين النوعية للتطور الاجتماعي.

---

1 نفس المرجع، ص173.

2 مصطفى خلف عبد الجواد، نفس مرجع، ص174

3 سمير نعيم أحمد، مرجع سابق، ص153.

ـ وفيما يتعلق بالمسائل الطبقية فهم يطرحون قضية نظرية، وهي أنه يجب النظر إلى تطور المجتمع الأوروبي ومراحله ومقولاته بوصفها حالات استقاها ماركس من تاريخ الانسان ولكن لا ينبغي أن يوضع تاريخ الإنسان في قوالب تمثلها مراحل ومقولات تطور المجتمع الأوروبي.

وثمة نقاط فرعية أخرى تتعلق بجدل الاستغلال الصاعد والهابط من استغلال المدن في الدول النامية للقرى حيث تجذب الأولى رؤوس الأموال وفائض الانتاج والقوى البشرية من خلال الهجرة[1].

تمثل البنيوية الماركسية أحد الاتجاهات المعاصرة للماركسية، وهي ترتبط ارتباطا خاص بالماركسيين الفرنسيين: "ألتوسير، وبورديو" ويرى البنيويون أن هناك توافقا شديدا بين البنائين الفوقي والتحتي، وبعبارة أخرى فإنهم ينظرون إلى الثقافة في أدنى مراتبها على أنها تعبير حر، وفي أعلاها على أنها مجال يترسخ فيه الامتثال الإيديولوجي للمجتمع الرأسمالي، وبهذا المعنى يتشابه البنيويون مع الوظيفيين البنائيين، على الرغم من أن الوظيفيين يسلمون عموما بفكرة الانصياع للمجتمع الرأسمالي، وهذا ما لا يقبله البنيويون الماركسيون بكل تأكيد[2].

خلاصة:

مما سبق تقديمه عرضنا المداخل النظرية الكبرى في علم الاجتماع بالتطرق الى أهم أفكار روادها الذين قدموا لنا تحليلاتهم وأفكارهم وتصوراتهم حول الظواهر الاجتماعية التي شهدتها مجتمعاتهم، فلقد اجتهد كل منهم في تفسير هذه الوقائع كل حسب توجهاته الثقافية والسياسية وحتى الاقتصادية، والجدير بالذكر أن هذه النظريات شكلت قاعدة أساسية للعديد من العلماء والباحثين المعاصرين الذين قاموا بتحديث هذه النظريات لتواكب مظاهر التغير الاجتماعي الذي نشهده.

---

1 عبد العزيز بن علي الغريب، مرجع سابق، ص283.

2 مصطفى خلف عبد الجواد، نفس مرجع، ص177.